

## فضيلة الصبر في الشهر الكريم



الصبر من الفضائل الخلقية، وهو النعمة الروحية التي يعتصم بها المؤمن فتخفف من بأسائه وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان، وتكون بلسماً لجراحاته التي يتألم منها. "فالصابر يتلقى المكاره القبول ويراهها من عند الله"، وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية، والجاهل هو الذي يضجر ويحزن ويكتتب، أما العاقل فيتلمس وجوه الخير فيما يبتليه الله به من الشدائد". ولولا الصبر لانهارت نفس الإنسان من البلايا التي تنزل عليه، وأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة، وأصبح في حالة يكفر فيها بالقيم الأخلاقية فضلاً عن أنه يصبح عنصر شر لا نفع منه. ونستطيع أن نصف الصبر بحق أنه الفاصل بين الحياة الروحية والمادية، ولهذا عني القرآن بالصبر ومدحه ورفع منزلته وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، وذكره حوالي سبعين مرة، ولم تذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار، وهذا يدل على عظم أمره لأنه أساس كثير من الفضائل، بل هو أمها لأنه يربي ملكات الخير في النفس، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه؛ فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد. والعفاف هو الصبر على الشهوات. والحلم هو الصبر على المثيرات. والكتمان هو الصبر على إذاعة الأسرار. لهذا كلفه الله أحب الأعمال الصابرين، وأعلن في القرآن أنهم ينالون مزيداً من الفضل والرحمة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: (إِنَّهُمْ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر/ 10). (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل/ 96). (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْلًا مَّا يَشَاءُ) (البقرة/ 217). والصابرون زيادة على هذا يؤيدون بمعونة الله، قال الله تعالى: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأأنفال/ 46)، ويحولهم الله إمامة الناس إلى ما يحبهم ويرضاه، وهذا ما حكاه الله عن بني إسرائيل: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً يُهْتَدُونَ) (بآياتنا تذكروا) (يوسف/ 24). ويخير الله أن الصبر من الخصال العظيمة التي يجب أن يتصف بها المؤمنون: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ) (آل عمران/ 186). أي إن الصبر والتقوى من صواب التدبير الذي ينبغي أن يعزمه كل أحد. ومده الله نبيه أيوب لاتصافه بالصبر بقوله: (إِنَّمَا وَجَدَنَا) (ص/ 44). والصبر الذي دعا إليه القرآن هو ملكة الثبات والاحتمال التي تهون على صاحبها ما يلاقيه في سبيل تأييد الحق، وإزالة الباطل، أو احتمال أذى الناس، وما يلاقيه من مصاعب كالفقير والمرضى وفقد عزيز. دعا القرآن إلى الصبر في موطن الجهاد في سبيل الله فقال سبحانه: (قَالَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ إِنَّهُمْ مُؤْلَقُوا لِلَّهِ كَمَا مِنْ فِتْنَةٍ قُلَيْلَةٍ غَلَائِبَتْ فَتْنَةُ الْكَافِرِينَ بِالْإِذْنِ وَاللَّهِ وَمَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 249). ودعا إليه في موطن تحمل أذى الناس: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوهُ بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَنْ يَصِيرَتُمْ لَهُمْ لَهْجُومٌ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) (النحل/ 126). ودعا إليه في مواطن المثابرة على العبادة: (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَاتِهِ) (مريم/ 65). (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه/ 132). ودعا إليه في مواطن البلاء الذي يمحن الله به عباده:

(وَلَنَذِيرُنَّكُمْ ° حَتَّىٰ نَعْلَمَ ° الْمُجَاهِدِينَ ° مِنْكُمْ ° وَالصَّابِرِينَ ° وَنَذِيرُنَّكُمْ ° أَخْبَارَكُمْ °) (محمدؐ / 31). وعدد □ أنواع البلاء بقوله: (وَلَنَذِيرُنَّكُمْ ° بِشَيْءٍ ° مِنَ ° الْخَوْفِ ° وَالْجُوعِ ° وَنَقْصٍ ° مِنَ ° الْأَمْوَالِ ° وَالْأَنْفُسِ ° وَالثَّمَرَاتِ ° وَبَشِّرِ ° الصَّابِرِينَ ° \* الَّذِينَ ° إِذَا ° أَصَابَتْهُمُ ° مُصِيبَةٌ ° قَالُوا ° إِنَّا لِلَّهِ ° وَإِلَىٰ ° إِلَهِهِ ° رَاجِعُونَ ° \* أُولَٰئِكَ ° عَلَيْهِمُ ° صَلَوَاتٌ ° مِنْ ° رَبِّهِمْ ° وَرَحْمَةٌ ° وَأُولَٰئِكَ ° هُمُ ° الْمُفْتَدُونَ °) (البقرة / 155-157).